٢ — من الأدب الغربي :

مســـــألة تتحدث (*)

للأستاذ محمد رجب البيومي

[في الأدب الفرنسي خاصة روائع خالدة عن مصر؛ وهذه قصيدة عصماء لتيو فيل جوتييه نظمها على لسان مسلة مصرية قائمة بميدان الكونكورد بباريس ونحن ننقلها بتصرف يقتضيه الذوق العربي] .

تحت صوب الحيا وذوب الجليد ... أقفُ الآن في الشتاءِ شديد
يزأر الجوّ فوق رأسي كطاغٍ ... مستبد بكل من في الوجود
تصرخ الريح بين كفّيه رعباً ... وتصيح الرعودُ تلو الرعود
ويمر السحاب تحت حماه ... كأسيرٍ مكبّل بالقيود
تمسَ الجوّ ! صار ثلجاً بيار ... يبس وقد كان جمرة في الصعيد
حيث كانت أختي ترفّه عني ... بحديث كخمرة المنقود(٢)
إذ يميس النخيل في سندس العشـ ... ـب كخود تجرّ وشْي البرود
إذ يهبّ النسيم في كلّ فجر ... ناشراً في الربوع عطر الورود
وذكاء الوضيئة الوجه تعطو ... فوق هام الرُّبا بخطو وئيد
يا لأوقاتها ! تولّتْ وكانت ... مشعلَ النور في الليالي السود
كخيال سرى ، وحُلم توارى ... كسرابٍ يلوح فوق البيد

إيه رمسيس قد تحطمَ صرحٌ ... أبديٌّ أقمتَه للخلود ... !
المسلاّت — يالخزيك — كانت ... في ربوع الحمى كبُرج مشيد
طالما قد حميْتها بحصونٍ ... من رماح وجحفل من أُسود
فشى الدهر نحوها وهو ليث ... صنع الله قلبه من حديد
فإذا جيشك العظيم يولي ... وجهه في استكانة الرعديد
كيف هذا ؟ حقيقةٌ أم خيال ... يا سماه ارجعي ! ويا أرض ميدي

قد تربّعتُ فوق لحد رهيبٍ ... كان للأرياء شرّ اللحود(٣)

وقف العدلُ في نواحيه يبكي ... بدموعٍ تحزّ في الجلمود
كم قتيل بدون ذنب جناه ... وشهيد مضى وراء شهيد
والمنايا تطيع أمر (لويس) ... كل يوم تقول : هل من مزيد(١)
وأخيراً أتت عليه فحزّتْ ... من قفاه العريض حبل الوريد
قُتل الموت ! كم أذلّ عزيزاً ... كان ذا سطوة وبأسٍ عتيد

انظر «السين» حائر الموج يعلو ... في اصطخاب كالهائج العربيد
يتهادى وفيم هذا التهادي ؟ ... وهو مرّ المذاق رنّق الورود
ليس كالنيل حين تصقله الشمـ ... ـس فيبدو كاللؤلؤ المنضود
ماس بين الروج مؤتلق الوجـ ... ـه كتاجٍ على الرُّبا معقود
جعل الأرض روضةً يتغنى ... فوقها كل صادحٍ غرّيد
من رسولي إليه في مصر يهد ... يه تحيات قلبيَ المعمودِ
كل شيء له يريدُ ولكن ... آه للنيل ! ماله من يريد

كنت في مصر — وا حنيني إليها —
ذات مجـد يذيب قلب الحسود
يفِد الناس خاشعين لمرآ ... بي وكلٌّ يهم لي بالسجود
وأنا اليوم قطعةٌ من صخور ... وقفتْ في الطريق مثل العمود
الرعاعُ الطغام حولي سكارى ... كقطيع مشرّدٍ في البيد
يفعلون الخنا بوجه من الصخر ... وقاحٍ لا يستحي من وجودي
كم بغيّ تسير خلف زنيم ... يشترى طهرها بحلو الوعود
يقطع الوقت في التذاذٍ أثيم ... بين شهدِ اللمى وورد الخدود
(غاب بولُنْيَا) مذبح شهويّ ... كم هوتْ فيه كل حسناء رُودِ
أين منهُ مصرُ التي قد تعالى ... كل صوتٍ بطهرها المحمود
قد جعلتِ العفاف يامصر تاجاً ... يتجلى على رءوس النيد

أين مني حمى دعٍ وأمونٍ ... هل سيبدو لناظري من جديد
وعويل الكهّان في غسق الليـ ... ـل كشكلى على ضريح فقيد
والتماثيل في المعابد يحشـ ... ـو عندها كل سيّدٍ ومسود
والنواقيس صادحات كطير ... ساحر اللحن بارع الترديد
والقبور الضخام كالهرم العـ ... ـالي سطور خُطتْ بسِفر الخلود
ما بباريس مثلها وهي كنز ... ذهبيٌّ يضم كل فريد
أنت يا مصر منيةُ المتمنّي ... دُمتِ في نعمةٍ وعيش رغيد

(١) لويس السادس عشر

(١) من ديوان « الحان غربية » تحت الطبع .
(٢) أختي تريد مسلة الأقصر .
(٣) فأقيمت المسلة في مكان مقصلة لويس السادس عشر .